

أثر الذنوب والمعاصي في نزول البلاء



مباحث الموضوع

١. توطئة.
٢. أسباب البلاء.
٣. المحور الأول.
٤. المحور الثاني.
٥. المحور الثالث.

الهدف

بيان أن الذنوب هي سبب وعلة لأنواع من المصائب.

تصدير الموضوع:

الرسول الأكرم ﷺ: «لا يجني على العبد إلا يده».

توطئة:

البلاء الذي يصيب الإنسان ظاهره واحد، ولكن أسبابه متعددة ولا يتصور وجود إنسان من دون تصور حلول البلاء في ساحته وكأن هناك تلازم غير منفك بين الإنسان والبلاء ومن يُبتَل فلينظر في قلبه وَلْيَعِدَّ النظر في دينه، فقد رُوي في هذا المضمار صاحب البحار: أن النبي ﷺ دُعي إلى بيت أحد المسلمين فلما حل فيه لاحظ دجاجة تبيض على جدار البيت ثم وقعت ولم تنكسر، فتعجب الرسول ﷺ من هذا فقال له صاحب الدار: استعجب يا رسول الله؟ قَسَمًا بالله الذي اصطفاك نبيًّا إنني لم أَصَبْ أبدًا بأذى، فنهض الرسول ﷺ وغادر المنزل قائلاً: **من لم ير مصيبة أبدًا فهو بعيد عن لطف الله.**^(١) ولذلك

اشتهر على ألسنة أهل السلوك (البلاء للولاء). والبلاء يوازي دين الفرد بمعنى انه كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ومن هنا كان الأنبياء (عليهم السلام) من أشد الناس بلاءً، وتلاههم الأوصياء، ومن ثم الأمثل فالأمثل^(٢)، بمعنى الأفضل والأشرف والآخر. نعم فان الغاية من البلاء تختلف بين الأصناف، فان البلاء للأنبياء درجة، وللمؤمنين اختبار، وللكافرين عقاب، وأما ألوان البلاء متعددة ومتكررة ولا تقف عند حد الإحصاء وقد يُصيب الفرد الواحد عدة بلاءات في وقت واحد.

أسباب البلاء:

لا يوجد سبب واحد للبلاء بل الاسباب كثيرة، فالمؤمن على سبيل المثال قد يُبتلى لاختباره وامتحانه، وقد يُبتلى لتأديبه ومعاقبته، وربما هناك أسباب أخرى علمها عند ربه سبحانه وتعالى، ومحل البحث هو الحديث عن البلاء الذي هو مُسَبَّب عن الذنوب والمعاصي وليس البلاء

الذي هو سبب للإختبار والإمتحان، وبعبارة أخرى، فإن محاور موضوعنا هو البلاء كنتيجة لا كسبب، وكُسبب لا كسبب، ويتم الحديث عن ذلك باستعراض عدة محاور:

المحور الاول: الروابط التكوينية بين المعاصي والبلاات.

من يتدبر الآيات الشريفة التي تتضمن الحديث عن هذا المحور يجد أن هناك رابط تكويني وعلاقة العلة والمعلول بين بعض الذنوب والمعاصي من جهة والبلاات والمصائب من جهة اخرى، وهذا الاستنتاج مؤيد في القرآن الكريم و السنة الشريفة كما هو واضح لأدنى تأمل، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَرِعَفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣) «أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ

(١) - بحار الانوار - ج ١٥ - ص ٥٠٥. اصول الكافي - ج ٦، ص ٦.

(٢) - الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٢٥٢

(٣) - الشورى ٣٠

مَنْ لَهَا قُلْتُ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ
عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ
لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ (٢).

يُستفاد من هذه الآيات
الشريفة الأمور التالية:

أ: ظاهرة في أَنَّ هناك
مصائب تصيب الإنسان وكذلك
في ظهور الفساد في الأرض.

ب: صرّحت الآيات أن
سبب المصائب والفساد هو ما
اكتسبه الإنسان أي بسبب أفعاله
وأقواله.

ج: علة المصائب القريبة هي أن
يتذوق العصاة نتائج بعض أعمالهم،
وأما العلة البعيدة هو سوق العباد إلى
مكان لعلمهم فيعتبرون فيترجعون عن
أعمالهم ويتوبون إلى الله خالقهم.
ويؤيده قوله ﷺ: «لا يجني على
المرء إلا يده» (٣). وقد أورد العلامة
المجلسي، بأن الله أوحى إلى أيوب:
«هل تدري ما ذنبك أني حين
أصابك البلاء؟ قال ﷺ: لا،
قال تعالى: «إنك دخلت إلى فرعون
فداهنت في كلمتين» (٤).

المحور الثاني: ألوان الذنوب وأنواع المصائب؛

ففي هذا المحور نستفيد أمرين،

الأول: يعزز الفكرة السابقة وهي
الروابط بين الذنوب والمصائب
والثاني: انه ليس كل ذنب يؤدي
إلى كل مصيبة وليست كل بلية هي
نتيجة لكل معصية بل هناك ذنوب
ينتج عنها مصائب محددة وهذا ما
نستفيدة من مجموعة من الروايات
والأدعية، وشاهد على ذلك ما جاء
في دعاء كميل بن زياد المروي عن
مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تعرض
عليه السلام لذكر مجموعة ذنوب وما ينتج
عنها من مصائب معينة حيث قال
عليه السلام: «اللهم اغفر لي الذنوب
التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي
الذنوب التي تنزل النقم، اللهم
اغفر لي الذنوب التي تغير النعم،
اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس
الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي
تنزل البلاء»، فمما لا شك فيه أن
هتك العصم ونزول النقم وغيرها،
هي أنواع من البلاءات بالمعنى العام
وهي نتيجة لذنوب مختلفة اقترفتها
الإنسان فمن الذنوب التي تنزل النقم
التطاؤل على الناس والاستهزاء بهم،
ومن الذنوب التي تنزل النقم كفران
النعم، وترك الشكر، ومن الذنوب
التي تمنع الإجابة سوء النية وخبث
السريرة، والنفاق مع الإخوان،
وتأخير الصلوات المفروضة، ومن
الذنوب التي تنزل البلاء ترك إغاثة
الملهوف وترك معاونة المظلوم (٥).

المحور الثالث: أخطر الذنوب ما جرّ الذنوب.

هناك أنواع من الذنوب في غاية
الخطورة حيث تفتح على الإنسان
أبواب المعصية ومؤدى ذلك الشرك
والكفر بالله تعالى وإقفال أبواب
العودة والرجاء (التوبة) لأنها ذنوب
تهتك العصم منها شرب الخمر
واللعب بالقمار ومجالسة أهل الريب
وتبرير الذنب و....،

وفي الخاتمة: أنقل هذه القصة
التي أوردها مجموعة من أرباب
التفسير وخلصتها: انه كان في بني
إسرائيل عابد يقال له برصيصا قد
عبد الله تعالى زماناً من الدهر إلى
درجة كان يؤتى بالمجانين فيبرؤون
على يديه، وذات يوم جيء بامرأة
مجنونة -وهي على حسن- فوسوس
له الشيطان فوقع عليها ولما استبان
حملها قتلها ودفنها فجاءه إخوتها
واستنزله فاقروا لهم بفعله فأمر به
فصلب، ولما رُفِع على خشبته تمثّل
له الشيطان قائلاً: إطعن فيما أقول
أخلصك مما أنت فيه، قال: نعم،
فأمره أن يسجد له سجدة واحدة،
فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه
الحالة؟! فقال اكتفي منك بالإيماء،
ففعل، فكفر (٦) بالله تعالى وقُتل مشركاً
وهو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧)



(٦) - مجمع البيان ج٩-ص٢٦٥ وتفسير روح البیان ج٩-
ص٤٤٦ وتفسير القرطبي ج٩ ص١٥٨
(٧) - العشر ١٦

(٥) - مآذکر من أسباب هو مضمون ما جاء في الاحاديث.

(١) - آل عمران ١٦٥
(٢) - الروم ٤١
(٣) - تفسير الثقلين ج٤-ص٢٠٩
(٤) - بحار الانوار ج٧٥-ص٢٨٠